الإيجابيّة سبيل الحضارة

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 1 جمادى الثانية 1434هـ الموافق لـ 12 أفريل 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

الإيجابيّة سبيل الحضارة

معاشر الإخوة الكرام،

المسلم يتّصف بالإيجابيّة، فهو عنصر التّغيير في المجتمع، له بصماته في المجتمع، فهو المحرّك للتّيّار وليس التّيّار يحرّكه حيث يشاء.

من أجل ذلك قال تعالى:

" وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ 71 ﴾ " سورة التّوبة.

ثبت في صحيح النّسائي للألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه، **قال صلّى الله عليه وسلّم: (إنّ الدّين النّصيحة، إنّ الدّين النّصيحة، إنّ الدّين النّصيحة)، قالوا: (لمن يا رسول الله؟)، قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم).**

ولقد قصّ علينا الله تعالى قصّةً لبني إسرائيل مبيّنا فيها مصير المسلم الإيجابي ومصير المسلم السّلبي، وهو يُصادف الإنحرافات في المجتمع:

" وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ 163 ﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ 164 ﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ 165 ﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿ 166 ﴾ " سورة **الأعراف.**

فالله تعالى أنجى الطّائفة الإيجابيّة في حياتها الّتي نهت عن المنكر، في حين عذّب الطّائفة الّتي خالفت أمر الله وارتكبت المنكر، وسكت السّياق عن الطّائفة المتفرّجة احتقارًا لموقفها السّلبي.

ولقد عجبت من آباءٍ وأمّهات يعجزون عن نصح أبنائهم، في حين نجد علماء ينصحون جبابرةً ولا يخشون أحدًا.

لا تصلح حياة المسلمين إلاّ بصلاح علمائهم وحكّامهم، ولقد كان الحكّام قديمًا يطلبون الموعظة من العلماء، ولقد زهد العلماء يومئذٍ فيما في يد السّلطان، فاحتاج السّلطان لعلمهم وحكمتهم.

دخل الإمام الأوزاعي على الخليفة العباسي المنصور، فقال له: (عِظْني)، قال الأوزاعي: (يا أمير المؤمنين، إنّ الله هو الحقّ المبين، ومن كره الحقّ فقد كره الله، يا أمير المؤمنين، إنّ المُلك لا يدوم لأحدٍ وإنّما المُلك لله وحده، ولو دام لأحدٍ ما وصل إليك، واعلم أنّ أعزّ النّاس عند الله التّقاة، فمن طلب العزّ بطاعة الله تعالى، رفعه الله وأعزّه، ومن طلبه بمعصيّته وضعه الله وأذلّه).

فلمّا انتهى الأوزاعي من موعظته، أمر له المنصور بمالٍ فاعتذر عن قبوله، وقال: (يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدّنيا فأُحْرَمُ ثوابها وأُقلّل من نفعها، وما دام أمير المؤمنين قائمًا فينا بالعدل، فنحن في خير الله ثمّ في خيرك).

وهذا هارون الرّشيد الخليفة، قال ابن كثير في البداية: **{ قال ودخل عليه ابن السّمّاك يومًا، فاستقى الرّشيد، فَأُوتِيَ بِقُلَّةٍ فيها ماءٌ مبرّدٌ، فقال لابن السّمّاك: (عِظْني).**

فقال: (يا أمير المؤمنين، بِكَمْ كنت مُشتريًا هذه الشّربة لو منعتها؟).

فقال الرّشيد: (بِنصف مُلكي).

فقال: (اشرب هنيئًا)، فلمّا شرب قال: (أرأيت لو مُنِعْتَ خروجها من بدنك، بكم كنت تشتري ذلك؟).

قال: (بنصف ملكي الآخر).

قال ابن السّمّاك: (إنّ مُلكًا قيمة نصفه شربة ماءٍ، ونصفه الآخر قيمة بَوْلَةٍ، لَخَلِيقٌ أن لا يُتَنَافَسُ فيه، فبكى هارون الرّشيد }.

ولقد اتّصف العلماء بالشّجاعة في الحقّ، وأفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند إمامٍ جائرٍ،كما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

فهذا العزّ بن عبد السّلام رحمه الله وسلطان مصر نجم الدّين أيّوب، قال الباجي: **{ طلع شيخنا عزّ الدّين مرّةً على السّلطان نجم الدّين أيّوب في يوم عيدٍ بالقلعة، فشاهد العسكر مُصطفّين بين يديه، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الدّيار المصريّة.**

فالتفت إليه الشّيخ وناداه: (يا أيّوب، ما حجّتك عند الله إذا قال لك: " ألم أُبَوِّئْ لك مُلك مصر، ثمّ تبيح الخمور؟! ").

فقال السّلطان: (هل جرى ذلك؟!).

فقال الشّيخ: (نعم، الحانة الفلانيّة تباح فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلّب في نعمة هذه المملكة).

يناديه بأعلى صوته، والعساكر واقفون.

قال السّلطان: (يا سيّدي، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي).

قال الشّيخ: (أنت من الّذين يقولون: " إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ " ؟!).

فأصدر السّلطان مرسومًا بإبطال تلك الحانة }.

قال الباجي: { سألت الشّيخ لّما جاء من عند السّلطان وقد شاع هذا الخبر: (يا سيّدي كيف الحال؟) }.

فقال: (يا بنيّ رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه لِئَلاَّ تكبر عليه نفسه فتؤذيه)، فقلت: (يا سيّدي أما خِفْتَه؟)، فقال: (والله يا بنيّ استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السّلطان قدّامي كالقطّ).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

إخوتي الكرام،

إنّ الله تعالى أمرنا أن ننصح بالّتي هي أحسن، قال تعالى:

" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . . ﴿ 125 ﴾ "

سورة النّحل.

والنّصيحة بالموعظة الحسنة من صفاتها أن نُشْعِرَ المنصوح أنّنا نريد إنقاده، ولا نريد الإنتقام منه أو التّشفي فيه.

وانظروا إلى مؤمن آل فرعون كيف نصح قومه:

" يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا . . . ﴿ 29 ﴾ "

سورة غافر.

أي أنتم غالبون عالون على بني إسرائيل.

قال الرّازي: (**إنّما قال: " ينصرنا " و " جاءنا " مُظهِرًا لهم أنّه منهم، وأنّ الّذي ينصحهم به هو مشاركٌ فيه، وهذه حكمةٌ وبصيرةٌ، فالنّصيحة ليست انتصارًا لرأيٍ بقدر ما هي إحقاقٌ للحقّ وإبطالٌ للباطل**).

ثمّ يقول لهم:

" . . . يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿ 30 ﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿ 31 ﴾ " **سورة غافر.**

يُشعرهم أنّهم قومه وهو منهم، ويُذكّرهم شعوره بالخوف عليهم من عذاب الدّنيا والآخرة.

" وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿ 32 ﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿ 33 ﴾ " سورة غافر.

ونبينا صلّى الله عليه وسلّم أعطانا المثل الأعلى في الرّفق بالمنصوح، وهذا إن كان كافرًا فما بالك إن كان مسلمًا.

يقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (تألّفوا النّاس ولا تغيروا عليهم حتّى تدعوهم، فما على الأرض من أهل مدرٍ ولا وبرٍ إلاّ تأتوني بهم مسلمين، أحبّ إليّ من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم، وتقتلوا رجالهم).

ذلك لأنّ العنف في الدّعوة والنّصيحة لا يَأْتِ بخيرٍ، ولا يفتح قلوبًا، ولا يُصْغِ آذانًا.

جاء في التّعليقات الرّضية للألباني، بإسنادٍ حسنٍ، عن محمّد بن عبد الله بن عبد القارئ، أنّ رجلاً قدم إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه من قِبَلِ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: (هل كان فيكم من مغربة خبرٍ)، فقال: (نعم، رجلٌ كفر بعد إسلامه)، قال: (فما فعلتم به)، قال: (قرّبناه، فضربنا عنقه)، قال عمر: (هلا حبستموه ثلاثًا، وأطعمتموه كل يومٍ رغيفًا، واستتبتموه لعلّه يتوب ويراجع أمر الله؟، اللّهمّ، إنّي لم أحضر ولم آمر ولم أَرْضَ إذ بلغني).

إنّ سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الملاطفة والملاينة لمن يُرجى إسلامه وصلاحه وتوبته، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **{ بعث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خيلاً قِبَلَ نجدٍ فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يُقال له ثُمامة بن أُثَالٍ، فربطوه بساريةٍ من سواري المسجد، فخرج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إليه فقال: (ماذا عندك يا ثمامة؟)، قال: (عندي خيرٌ يا محمّد، إن تقتلني تقتل ذا دمٍ، وإن تُنعم تُنعم على شاكرٍ، وإن كنتَ تريد المال، فسل منه ما شئت)، فقال له في اليوم الثّاني مثل ذلك، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (أَطلِقوا ثمامة)، فأنشد وتشهّد }.**

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،

إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.